جامعة البُليدة 02-لونيسي علي

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

ملخَّص دروس مقياس: ***اللّسانيَّات العامَّة لطلبة السّنة الثانية إجازة/ليسانس، التّخصص النّقدي.***

(أ.محمّد هتهوت)

عناصر البرنامج:

مدخل: نُبذة تاريخية عَن الدِّراسات اللُّغويَّة

1-عِند الهنود

2-عِند اليونانيين

3-عِند العَرب

4-الملحق

الفصل الأوَّل: الدِّراسات اللُّغويَّة في القرن العشرين (ميلاد اللِّسانيَّات)

1-مفاهيم فيرديناد دو سوسير (Ferdinand de Saussure) اللِّسانيَّة:

1-1-البنية أو النِّظام

1-2-الآنية والزمانية

1-3-الدَّال والمدلول والمرجع

1-4-اللُّغة واللِّسان والكلام

1-5-خطِّيَّة الدَّال

1-6-المحور الاستِبدالي والمِحور التَّركيبي

1-7-السيميولوجيا

الفصل الثَّاني: المناهِج اللِّسانيَّة

1-المنهج التَّاريخي

2-المنهج المقارن

3-المنهج الوصفي

4-المنهج التقابلي

الفصل الثالث: مُستويات التَّحليل اللِّسانيّ

1-مُستوى التَّحليل الصَّوتي

2-مُستوى التَّحليل الصَّرفي

3-مُستوى التَّحليل التَّركيبي

4-مُستوى التَّحليل الدَّلالي

المدخل: ***نبذة تاريخيَّة عن الدّراسات اللغويَّة***

النَّظر إلى اللُّغة والتَّأمُّل فيها قديمٌ، فقَد التَفتَت إليها أُممٌ وحضاراتٌ كثيرة، مِنهم المِصريون القُدامى، السُومريون، الفِينيقيون، الهنود، الإغريق، الرومان، العَرب وغيرهم؛ وقد ضربَت كلٌّ منها بِسهمٍ وافِرٍ في وصفِ مظاهِر اللُّغة وجوانِبها؛ وكان مِن الحَضارات الرَّائدة الَّتي بَنت اللِّسانيَّات أُسسها المنهجيَّة والمعرفيَّة عليها، والَّتي كانَ لَها أَيضًا الأثَر المباشِر في تأسيس عِلم يَدرس اللُّغةَ، وفضلٌ في استِوائِه على سوقِه؛ وربَّما ظُهور اللِّسانيَّات (la linguistique/the linguistics) مع بداية القرن العشرين، الَّتي سنقف عليها عبر محطاتٍ نحاول استجلاء نشأتِها، مفهومها، مجالها وعلاقاتها.

1-الدراسات اللُّغويَّة القديمة:

1-1-عِند الهُنود:

اهتمَّ الهنود بِدرسِ اللُّغة عُمومًا، وبِدرسِ أَصواتِها خُصوصًا وذلِك مُنذ فترةٍ مُتقدِّمةٍ من الزَّمن؛ وأوَّل مَن أثار مِثل هذه الدِّراسة، اللُّغويّ الهندِي بانِيني (Panini) خِلال القرن الخامِس قبل الميلاد، حيث أَولى جلَّ اهتِمامِه بِأصواتِ اللُّغة السَنسكريتيَّة (sanskrit) لُغة الهِند القديمة، بِهدف تِلاوة الكِتاب المقدَّس الفيدا (Véda)- وهو عبارةٌ عن مجموعةٍ مِن أربعَة كُتب لِعقيدة البَراهميَّة- مَنعًا مِن أن يَطرأ عليهِ أيُّ تَحريفٍ أو لَحنٍ أثناء تَأدية الشَّعائرِ الدينيَّة؛ هذا الحِرصُ هو الدَّافع على وصفِ أصوات اللُّغة والتَّقعيد لها، وهو سَببٌ هامٌّ أيضًا، دَفعَ علماءَ الغَرب خِلال القَرن الثَّامن عشر والتَّاسِع عَشر الى البُحوثِ التَّاريخِيَّة والمقارنَة؛ وقَد أشاد غَير قليلٍ مِن علماءِ اللُّغة في القَرن العِشرين بِصنيعِ الهُنود، يَذكر جورج مونان (Georges MOUNIN) في هَذا الشَّأن:" الأمرُ الَّذي يُدهشنا في القواعدِ الهنديَّة أنَّها قامَت بِالتَّحليل اللُّغوي الثَّاني، وكان الهنود يُعنَونَ عِنايةً قُصوى باستِبقاء اللَّفظ الصَّحيح لِلعبارات الدقيقَة ممَّا أدَّى بهم إلى تَدوين أوَّل وصفٍ لِلأصواتِ اللُّغويَّة "[1]، ويَذكر أَيضًا، اللِّسانيّ البريطانيّ جون فيرث (J.FIRTH) أنَّ:" المدرسة الأصواتيَّة الانجليزيَّة لَم تَنشأ في القَرن التَّاسع عشر إلاَّ على أَكتافِ المعلومات الَّتي قدَّمها وليام جونز عَن النَّحاة والأَصواتيّين الهُنود "[2]

ومِن بينِ ما توصَّلوا إليه في بَحثِ أَصواتِ اللُّغة، الصَّوت المفرد، إذ" قَسَّموه إلى عِللٍ وأَنصافِ عللٍ وسَواكِن وقسَّموا العِلل إلى بَسيطة ومُركَّبة، كَما قسَّموا السَّواكِن بِحسبِ مَخارجها. وتوصَّل الهنود إلى أَثرِ القُفلِ في إنتاجِ الأَصوات الانفجاريَّة، والفَتح في إنتاجِ أَصواتِ العِلَّة والتَّضييق في إنتاجِ الأَصواتِ الاحتكاكيَّة. وتحدَّث الهُنود عَن تسرُّبِ الهواءِ مِن التَّجويف الحَنجريّ، وذَكروا أنَّه إذا فُتِحَ ما بَين الوَترينِ الصَّوتيَين يَنتجُ النَّفَس وإذا ضُيِّق ما بَينهما يَنتج الصَّوت.."[3]، ولَم تَكن إشارتُهم إلى الأصواتِ مُفردةً، بَل تحدَّثوا عَن المقطع، ووضعُوا قَواعِد دقيقَة للنَّبر في

لُغتِهم. وفي مُستوى النَّحو، تشكَّلت ما يُقارب اثنتَي عَشرة مَدرسة نَحويَّة مُختَلفة، وألِّف أَكثر مِن ثلاثِمائةِ كِتابٍ في النَّحو، وقَد قسَّم النُّحاة الهنود، الفِعل السَّنسكريتيّ إلى ثلاثةِ أَقسامٍ بِحسبِ الزَّمن، وهي: الماضي والحاضِر والمستقبَل، كَما عَرفوا الأَعداد الثَّلاثة: المفرد والمثنَّى والجَمع، وفي مَجالِ المعجميَّة، وضَع الهنودُ معجماتٍ لَملموا فيها النُّصوص المقدَّسة قَصد المحافظة عليها.

1-2-عِند الإغريق أَو اليونانيّين:

إنَّ مِن بَين العوامِل الَّتي أَحدثت اهتِمامًا باللُّغة كَجزءٍ مِن الحَياةِ الإنسانيَّة، هو أنَّ اليونانيّين، قَد سَبق لَهم أن أَدركوا وُجودَ لُغاتٍ أُخرى إلى جانِبِ لُغتِهم وفروقَ لَهجيَّة فيما بَينهم، ذلِك عَن طَريقِ التِّجارة والتَّعاملات مَع الشُّعوبِ المجاورة في شتَّى مَناحي الحَياة اليوميَّة.

كانَ مِن انجازات اليونانيين، استِنباط النِّظام الكِتابيّ عَنِ الفنيقيين " وهذا النِّظام الَّذي كان بِمنزلة أساسٍ للأبجديَّة اليونانيَّة لِلهجةِ الأزتيكيَّة (الأثينيَّة) الكلاسيكيَّة واللَّهجات الأدبيَّة الأخرى، إضافةً للأبجديَّة الرومانيَّة الَّتي اشتَقت مِن الصورةِ اليونانيَّة الغَربيَّة للأبجديَّة اليونانيَّة، قَد أصبحَ بِمنزلةِ الأب لِطرق الكِتابة الأَكثر انتِشارًا في العالَم اليَوم "[4]

1-3-عِند العَرب:

لَقد بَدأت الدِّراسات اللُّغوية العربيَّة بَعد ظهورِ الإسلام، حَول القُرآنِ الكريمِ وعلومِه، ويُشير كثيرٌ مِن الباحِثين أنَّ نشأةَ النَّحو العربيّ، كانَ مخافةَ تفشّي اللَّحن، الَّذي رآه العلماءُ خطرًا على العربيَّة، وعلى القرآنِ الكريمِ. ولكنَّ بعضًا مِنهم يرَونَ أنَّ (النَّحو العربيَّ) نشأَ لفهمِ القرآنِ الكريمِ باعتبارِه المصدرَ الأوَّلَ للأحكامِ الشرعيَّةِ الَّتي تتناولُ حياةَ المسلمينَ الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة؛ وهذا رأيٌ له وجاهتُه وأصالتُه لأنَّ الفهمَ يقتضِي البحثَ عن كلِّ ما يفيدُ في استنطاقِ النَّصِ وفي معرفةِ ما يؤدّيه التَّركيبُ القرآنيّ مِن معانٍ وبلاغةٍ باعتبارِه أعلى ما في العربيَّة مِن بيانٍ وفصاحةٍ وإعجازٍ .تذكرُ معظمُ الرِّوايات التَّاريخية، أنَّ أبا الأسود الدُّؤلي(ت69هـ)، أوَّلُ مَن فكَّر في وضعِ أسسِ النَّحو العربيّ، وسواءٌ أكانَ الدَّافع الَّذي دفعَ أبا الأسود تكليفًا مِن عَليّ بنَ أَبِي طالب- كرَّم الله وجهَه- أَم مِن زياد بنَ أَبيه (الَّذي كان واليًا على البصرةِ في خلافةِ عليّ بن أبي طالب)، أم كان دافعًا شخصيًّا مِن تلقاءِ نفسهِ أوجدهُ عندهُ وعيُه بأبعادِ قضيَّة اللَّحن، أسماعُه هذا اللَّحن على لسانِ ابنتِه (تختلفُ الرِّوايات في ذلك) ولا خلافَ بينَ النَّاسِ على ربطِ القصَّة كلِّها بشخصِ أبي الأسود، كما لا يختَلفون حولَ نقطِ المصحفِ باعتبارِه الخطوةَ الأولى في رحلةِ النَّحو العربيّ. جاءَ أبو الأسود برجلٍ مِن عبدِ القيس يحسنُ الكتابةَ، وأعطاهُ صبغًا أحمر وقلمًا وطلبَ منهُ أن يلاحظه وهو يقرأ القرآن، فاذا رآهُ يفتح فَمه وضعَ نقطةً حمراء فَوق الحرفِ المكتوبِ وإذا

رآهُ يكسِرُ فمهُ بالحرفِ وضعَ الكاتب النُّقطةَ تحتَ الحرفِ، أمَّا إذا رآهُ يضمُّ فمهُ فقد كان عليه أن يضعَ نقطةً حمراء بينَ يدي الحرفِ (أي تاليةً لهُ بينهُ و بينَ ما يليهِ.)

ونلاحِظ مِن كلِّ هذا، أنَّ جهودَ العلماءِ الأوائلِ، في وضعِ مبادئِ النَّحوِ العربيّ، لم تخرُج عَن كونِها ملاحظاتٍ لفهمِ النَّص القرآنيّ العَظيم ومحاولة ضبطِه، وأنَّ أغلبَ هؤلاءِ العلماء قد اشتهروا بعلمِ القِراءات القرآنيَّة، فَقد جَمعوا إلى جانبِ القِراءات القرآنيَّة، آراءَ ونظراتٍ نحويَّة ولغويَّة.

1-3-1-جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ولما جاءَ الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 170هـ)، دخلَ النَّحوُ العربيُّ مرحلةً جديدةً، فلقد كان هذا العالِم الزاهِد مهتمًا بالعلوم المستعرَبة، خاصَّةً منها الرياضيَّة، فقد قرأ كل ما تُرجم مِن منطقِ أرسطاليس وعلم الإيقاع الموسيقي عندَ اليونان.وكانَ الخليل من العقول الخصبة النَّادرة، فَهو ينهلُ مِن كلِّ علمٍ يردُ عليهِ ويحاولُ أن يبتكرَ فيه، وإليهِ يرجعُ الفضلُ في ابتكارِ علمِ العَروض، وقَد كان الخليل قد بلغَ الغايةَ في استخراجِ مسائلِ النَّحو وتصحيحِ القياسِ، وإليهِ يُعزى أوَّلُ معجمٍ عربيٍّ(العين)، الَّذي استند منهجُه على أسسٍ صوتيَّةٍ في ترتيبِ أبوابِ الكتاب،" ولقد كان ترتيب الخليل هذا مبنيا على أساسِ المخارج، فقدم المجموعات الصَّوتيَّة بحسبِ عُمقِها في الحلق ثمَّ تدرَّج الى الحروف الشَّفويَّة ثمَّ اختتم بِحروف العِلَّة "[5]. وقد رتَّب أبنية الكتاب بنظامِ التَّقليبات أو التباديل، وهي نظرةٌ رياضيةٌ، تدلُّ على اهتمامِه بالعلوم الرياضية والموسيقى والأصوات.

ومِن المعطيات الصَّوتيَّة الَّتي نقعُ عليها في معجمهِ "العين"، جَعلُه هِجاءَ العربيَّة في تسعٍ وعشرين حرفًا، منها خمسٌ وعشرين حرفًا أطلَق عليها، الحُروف الصِّحاح (الصوامت)، وحروفَ جوفٍ و هي: الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة؛ وجاءَ تقسيمُه للحروفِ إلى مجموعاتٍ متقاربةٍ اشتقَّ أسماءَها من أسماءِ المواضعِ الَّتي تخرجُ منها الحروف، " فكان أن رتَّب الخليل الأبجدية الى مجموعات صوتيَّة كما يلي: ع ح ه غ خ- ق ك- ج ش ض- ص س ز- ط ت د- ظ ث ذ- ر ل ن- ف ب م- و ا-ى "[6]؛ فالحلقيَّة مبدؤُها من الحلقِ، وتضمُّ: ع، ح، ه، خ، غ، ء، ولهويَّة، ومبدؤُها من اللهاة، وحرفاهُ: ق، ك، وشجريَّة ومبدؤُها مِن شجرِ الفمِ وحروفُه: ش، ج، ض، ي غير المديَّة، وأَسليَّة، ومبدؤُها مِن أَسَلَة اللِّسان، وحروفُه: ص، س، ز، ونِطعيَّة ومبدؤُها من نِطعِ الفمِ وحروفُه: ط، د، ت، واللثويَّة، وحروفُه: ظ، ذ، ث، وذَلَقيَّة، وحروفُه: ر، ل، ن، وشفويَّة، وحروفُه: ف، ب، م، و، وجوفيَّة أو هوائيَّة ليس لها أحيازٌ فتنسب إلى الجوفِ، وهي: الألف، والواو، والياء؛ إضافةً إلى ما خصَّها من صفاتٍ صوتيَّةٍ كالذَّلاقةِ، والإصماتِ، والهَمس، والتَّفخيم، والغنَّة، وغيرِها .

1-3-2-جهود سيبويه:

وعندما جاء سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، ت 180هـ)، تلميذ الخليل، بدَأت مرحلةُ أخرى جديدة للنَّحوِ العربيّ، بمؤلفهِ "الكتاب"، وهو كتاب في النَّحو، جمعَ فيه سيبويه جُهود النحويّين واللُّغويين السابِقين وآراءهم واختلافُهم في بعضِ القضايا النحويَّة والصَّرفية، مثل آراء الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأخفش الكبير، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وأبو زيد الأنصاري.

ويُعد (كتاب سيبويه)، أوَّل كتابٍ نحويٍّ عربيّ يصلُ إلينا بالتَّخطيط العلميّ والتَّدوين الرسميّ؛ " واذا كانت البنية وتحليلها هي هدف علم اللُّغة البنيويّ فقد كانت أيضًا هدف النحاة وعلماء اللُّغة في التُّراث العربيّ، بحيث رأى بعض الباحثين عناصر بنيويَّة واضحة في كتاب سيبويه "[7]. ويدَّعي بعضُ الباحثين أنَّ سيبويه لَم يكن لهُ منهجٌ واضحٌ في كتابه، إذ أدخلَ كثيرًا من مسائلِ النَّحو في قسمِ الصَّرف مثل باب القَسَم، وباب المِنوعِ مِن الصَّرف، ولكنَّ كثيرًا من الباحثين يردُّون هذا الرَّأي، فالكتابُ قد جمعَ ثروةً لغويَّةً ونحويَّةً؛ فقد قسَّمهُ سيبويه إلى قسمَين رئيسَيين، فجمعَ في القسمِ الأوَّل، التراكيبَ اللغويَّةَ المشتملةَ على أحكام صرفيَّة.ويتناولُ سيبويه في القسمِ الأوَّل، الكلمةَ وأقسامَها: فهو يقسِّمها إلى اسمٍ و فعلٍ وحرفٍ، وقد جعلَ بعضُ المتأخرينَ هذا التَّقسيم عقليًّا ينطبقُ على جميعِ اللُّغات، ممَّا حداهُم إلى القولِ بأنَّ النَّحوَ العربيّ مأخوذٌ عن أرسطو وتقسيمُه المبنِي على ذاتٍ وحدثٍ ورابطة.

ورغمَ اختلافِ الدَّارسين المحدثينَ حولَ هذا الموضوعِ، إلاَّ أنَّنا نرى أنَّ النَّحوَ العربيَّ نشأَ عربيًّا وإن كانَ قد تأثرَ بمنهجِ الفلاسفَة في العصورِ المتأخرةِ.ويتناولُ سيبويه في القِسم الأوَّلِ أيضًا الشَّكل الإعرابيَّ في أواخرِ الكلمةِ، ثمَّ ينتقلُ إلى قضايا المسنَد والمسنَد إليه والتَّركيب الاسنادِي، ونجدُ اهتمام سيبويه بأهميَّةِ الكلمةِ داخلَ التراكيبِ وكذلك التَّراكيب اللُّغويَّة الَّتي استعملَها العَرب، وهو يَعرضُ في كلِّ موضوعٍ عددًا مِن الشواهدِ اللغويَّةِ وآراءَ اللُّغويينَ إلى غيرِ ذلك ممَّا يدخلُ في قضايا النَّحوِ، أمَّا القسمُ الثَّاني فقَد خصَّصه للمباحثِ الصَّرفيَّة واصلاً إيَّاها بمادةٍ صوتيةٍ واسعةٍ بدأَ بها بابَ الإدغامِ. ويرى الدكتور حلمي خليل: أنَّ الخليلَ وتلميذَه الَّذي خلفَه على تراثِه قد استطاعا أن يقدِّما لعلماءِ العربيَّة مِن بعدهِم وحتَّى يَومنا هذا نموذجًا بِنيويًّا لِوصفِ العربيَّة صوتيًّا ونحويًّا وصرفيًّا ودِلاليًّا، لَم يستطع أحدٌ أن ينالَ مِنه أو يقدِّم بديلاً عنهُ، كما يرى د. كريم زكي حسام الدِّين: أنَّ هذا المنهجَ الَّذي اتبعَه سيبويه في الدَّرسِ اللُّغوي يُساير أحدثَ الاتِّجاهات لِلتَّحليلِ اللُّغوي عِند تشومسكي الَّذي رأَى أنَّ التَّحليلَ اللُّغوي يَجب أَن يبدأ مِن التراكيب فالمفردات ثمَّ الأصوات. وعلى كلِّ حالٍ فقَد ضمَّ كِتابُ سيبويه دراساتٍ في بِناءِ الجُملة والكلِمة والأصوات، وهذِه تُعدُّ اليومَ مِن قِطاعاتِ اللِّسانيات الحديثَة .

2-إرهاصات اللِّسانيَّات (البحث اللُّغوي في القَرن الثَّامن عشر والتَّاسع عشر)

دَخلت الدِّراسات اللُّغويَّة خِلال الفترات الأخيرَة قُبيلَ القَرن العِشرين عهدًا جديدًا في تناولِ موضوعِ اللُّغة، ولعلَّها من أحسمِ الفتراتِ الَّتي أدَّت إلى ميلادِ اللِّسانيَّات في شكلِها الحَديث؛ إذ فتحَ الباحِثون مَجال التَّاريخ والمقارنَة في مقاربَة اللُّغات. وكانَ أهمُّ حدثٍ وجَّه مسارَ الدَّرس اللُّغويّ ضمنَ هذِه الفَترة هو الاكتِشافُ الكامِل للُغة الهِند القديمة «السنسكريتية»؛ وانعكسَ هذا الاكتِشاف بوضوحٍ على القَرنين التاسِع عشر والعشرين؛ وكانَت المحاضرَة الَّتي أَلقاها "وليام جونز(Sir William Jones) –هذا القاضِي البريطانِيّ في كَلكّتا بِالهند سنة 1786م– حافِزًا لِانطِلاقِ البحثِ التَّاريخي والمقارنِ للُّغات؛ فَبعد أن أَشاد بالسَنسكريتيَّة وأَفضَليَّتِها على الإغريقية واللاَّتينية، وذكر بأنَّ لها مع الأُخريات قرابَةٌ جِد وَثيقَة، سواءٌ مِن حيثُ الأُصول الفِعلية أَو الأَشكال النَّحويَّة، حتَّى إنَّ هذِه القَرابَة لا يُمكن أَن تَكونَ مِن قَبيلِ المصادفَة. ولَيس هناكَ أَيُّ فِيلولُوجِي يَجرُؤ على أَن يُنكِرَ انحِدارَها مِن أَصلٍ واحِد." وكان لهذا الكشف نتائج بالغة الأثر في سير الدِّراسات اللُّغويَّة، وفي النهضة اللُّغويَّة الحديثة. نتج عن معرفة اللُّغة السنسكريتيَّة ادراك العلاقة بينها وبين اللُّغة اللاَّتينيَّة وما تفرَّع عنهما مِن اللُّغات. وهكذا أخذ العلماء يتكلَّمون عن مجموعة اللُّغات الَّتي سموها عائلة اللُّغات الهندو-أوربيَّة "[8].

- **الفَصل الأوَّل: *الدِّراسات اللُّغويَّة خلال ق 20، وميلاد اللِّسانيَّات:***

أوَّلاً: البُنية والبِنويَّة عند سوسير: (la structure et le structuralisme)

البُنية[9]، هي" عُنصرٌ مُجرَّدٌ مِن عناصِرِ اللُّغة مَوجودٌ داخِل شبكةٍ مِن العِلاقات التَّقابُليَّة المتغايِرَة، حيثُ إنَّ كلَّ عنصرٍ يَستمدُّ قِيمتَهُ مِن مَوضِعِه، وإنَّ أيَّ قِيمةٍ لِعنصرٍ ما مُرتبط بجميع العناصِر الأُخرى "[10]، أو كَتعبير لويس هيلمسلاف (L. Hjelmslev) ، بِما نصُّه:" كَيانٌ مُستقلٌ ذو ارتباطاتٍ داخِليَّة "[11]، أمَّا البِنويَّة أو البِنيويَّة أو البِنائيَّة–على تَعدُّد مُسمياتِها في الدَّرس اللِّسانيّ العربيّ– فهي نظريةٌ ومدرسَةٌ واتِّجاهٌ يدرسُ "كُلاًّ مُجملاً، بحيثُ أنَّ تعديلَ أيَّ عنصرٍ لا يتمُّ دون تعديلٍ لِبقية العناصر الأُخرى "[12]. وتقوم على " تَحليل أي عنصر من عناصِر اللُّغة لا يمكِن أن يتمَّ بِمعزلٍ عن بقيةِ العناصرِ اللُّغويَّة الأُخرى وهو من ناحيةٍ أُخرى نظريَّةٌ لغويَّة تُطبِّقُ المنهجَ الوصفيّ في فحصِ اللُّغة ودِراستِها، فتنظرُ إليها على أنَّها وحدات صوتيَّة تتجمع لِتكوّن وحداتٍ مورفولوجيَّة لِتكونَ هذه بِدورِها جُملاً وعباراتٍ [13].

ويَدعونا تعرُّف اللِّسانيَّات فِي شكلِها الحَديث، إلى ولوجِ بعضِ المفاهيمِ والأفكارِ الَّتي جاءَ بها عالِم اللِّسانيَّات، فرديناند دو سوسير (Ferdinand de SAUSSURE)، والَّتي بَنَت عليها جميعُ المدارس اللِّسانيَّة اليوم أُسسَها وفكرَها. وفِي نظرِ سوسير، فانَّ ***موضوعَ اللِّسانيَّات*** الوَحيد والحقيقِي هُو: "***دِراسةُ اللِّسان فِي ذاتِه ومن أجلِ***

ذاته"[14]، أي: دراسةُ هذا اللِّسان في بِنيتِه الداخلية (الصوتيَّة، الصرفيَّة، التركيبيَّة، الدِّلاليَّة)، دونَ مُراعاة العوامِل الخارجيَّة المحيطة بِه؛ ومِن أجلِه، أَي: ومعَ دِراستي وتَحليلي لَه، لا يجبُ أَن تكون لِي اهتماماتٌ أخرى تعليميَّة أَو تَربويَّة، كما هو حالُ الطَّبيب أَو المهندس وقِس على ذلِك، والَّتي تقتَضي عدَّ اللِّسان وسيلةً لا غايَة؛ وقَد حصرَ سوسير مَجالات اللِّسانيَّات في العناصر التاليَّة:

أ) وصفُ الألسنَة (les langues)، وذلكَ مِن خلالِ الوُقوف عَلى أنظمتِها بِالتَّحليل (النِّظام الصوتِيّ، النظام الصرفِيّ، النظام التركيبِيّ/النحويّ، النظام الدلالِيّ). ب) البَحث عنِ الأَسباب والمبرِّرات القائمَة وراءَ التغيُّرات في التَّركيبةِ اللُّسانيَّة، واستنباطُ القَوانين العامَّة المطرِدَة فيها. ج) تَميُّز اللِّسانيَّات نفسَها عَن باقِي العُلوم، وتحديدُها لِنفسها بِنفسها.

ويُورِد سوسير مجموعةً مِن مبادئِه الرَّئيسة يُريد بها استكناه أبنية الألسنة، جاءت فِي شَكل ثُنائيَّات (Dichotomies) متقابِلة، فَذكر:

1– الآنيَّة والزمانيَّة:

ميَّز سوسير بينَ نوعَين مِن الدِّراسة، فالأولى، دراسةٌ آنيَّة أَو تزامنيَّة (la synchronie)، تَبحث في اللُّغة بمنهجٍ وصفِيٍّ في نقطةٍ معيَّنة، دراسةٌ ساكنةٌ (statique) بِغضِّ النَّظرِ عنِ العواملِ الثقافيَّة، السياسيَّة، الاجتماعيَّة، المرافقَةِ لها عَبر تاريخِها وزمنِها؛ أمَّا الثانيَّة أو الدِّراسة الزَّمنيَّة أو التَّطورية أو التَّعاقبيَّة (la diachronie)، وهِي تبحثُ في اللُّغة بمنهجٍ تاريخِيٍّ يتتبعُ تطورَها وتغيُّرَها على مرِّ الزَّمن؛ لكن سوسير يرى بأنَّ غايةَ اللِّساني، يجب أن تكون منصبَّة على النِّظام الداخلِيّ قصدَ كشفِ القَوانين والأُصول، و بِذا يُلغَى عامِلُ الزَّمن [15]. كما كان منهُ أن دَعا إلى إخراجِ الدِّراسة التَّاريخيَّة (diachronique) مِن الدِّراسات اللسانيَّة والاهتمامُ فَقط بتتبعِ الأصولِ الأولى للُّغات وتأكيدِ المنشأ المشترك لَها فقط. ويتَّضح ذلكَ مِن الرَّسم التَّالِيّ:

المِحوَر العمودِيّ (la diachronie): ويمثِّل الدِّراسة الزَّمنيَّة التاريخيَّة.

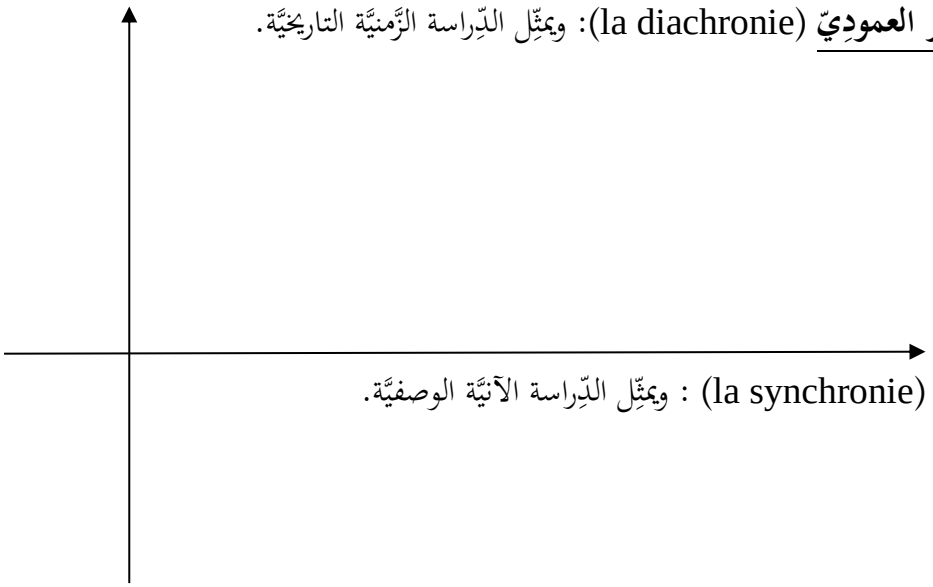

المِحوَر الأُفقِيّ (la synchronie) : ويمثِّل الدِّراسة الآنيَّة الوصفيَّة.

2– اللُّغة واللِّسان والكَلام:

ميَّز سوسير أَيضًا بينَ مصطلحاتٍ جوهريَّةٍ ثلاثة، لكنَّ تركيزهُ انصبَّ على ثنائيَّة: **اللِّسان/ الكَلام**؛ وفيما يلي هذِه مفاهيمها:

2–1– اللُّغة (le langage):" ملكةٌ (Une aptitude) موجودةٌ لدى كافةِ البشرِ لغرضِ التواصلِ بواسطةِ الألسنَة (les langue)"[16]، وهي فطريَّة واستِعدادٌ بيولوجي.

2–2– اللِّسان (la langue): هو نظامٌ مِن العَلامات (Un système de signes) الَّذي يستعملُ مِن قبلِ جماعةٍ بشريَّةٍ ما، يتواضعُون عليه، وهُو نتاجٌ اجتماعِيٌّ لملكةِ اللُّغة، أو هو مجموعةُ القواعِد الموجودَة في أذهانِ الأفراد على شكلِ معجمٍ مشترَك، وهو خارجٌ عن إرادةِ الأفرادِ، فالعربيَّة، والفرنسيَّة، والانجليزيَّة، والروسيَّة..، تعدُّ بِهذا المفهومِ ألسنةً. وهو ذو خصوصيَّةٍ اجتماعيَّةٍ، ويعبِّر عَنه سوسير بالصيغَة التَّاليَّة:" 1 + 1 + 1 + 1 = 1 (نموذج جَماعِيّ)"[17].

2–3– الكلام (la parole): والمقصودُ به تلكَ التَّأديات الفرديَّة لِلِّسان، أَو التحقيقُ العينِيّ له، وهو على ذلك ذو خصوصيَّةٍ فرديَّة، وأشارَ إليه سوسير كَذلك بِصيغة:" (1 + 1'+ 1"+ 1'"...) "[18]

ويمكن اظهار هذه المفاهيم في الشَّكل التَّالي:[19]

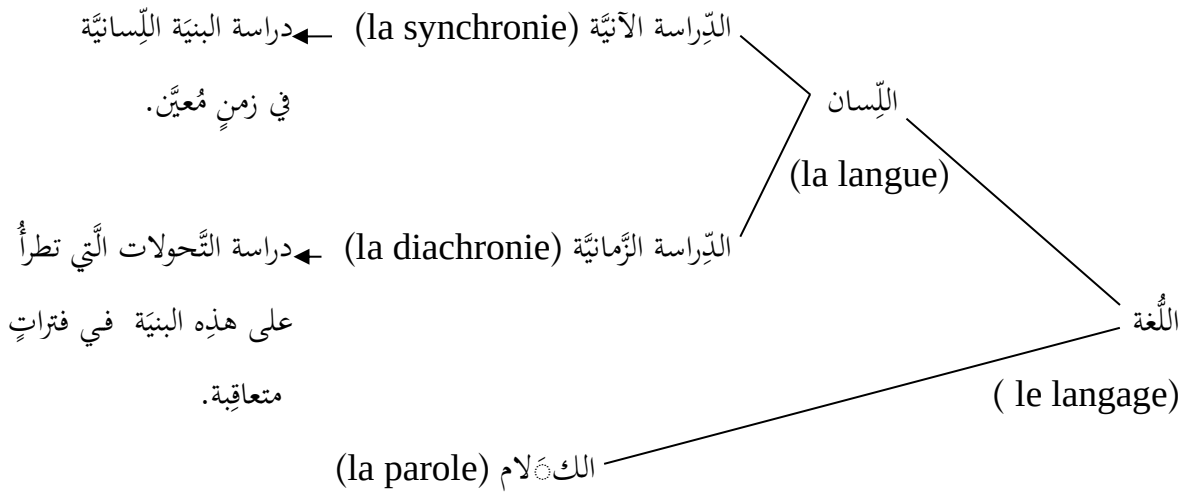

3– الدَّال والمَدلول: (الدليل اللِّسانيّ)

يؤلِّف الدليل اللِّسانيّ أو العَلامَة اللِّسانيَّة (le signe linguistique)، شقَّين هامَّينِ في عمليَّة التواصل، فالأول وهو الدَّال (le signifiant)، والمقصود به الصورة الماديَّة: السمعيَّة المنطوقة، والمكتوبَة المرئيَّة، فالدَّال في قولِنا: شَجَرَة أَو كِتَاب أَو قَلَم، هِي: أَصوات: (شَ/جَ/رَ/ة) في الأوَّل، و (كِ+ تَ +ا + ب) في الثَّاني، و (قَ+ لَ+ م) في الثَّالث؛ أمَّا المدلول (le signifié) فَهو المعنى أو المضمون أَو دِلالة اللَّفظ المنطوق أو المكتوب؛ والى جانِب هذِه الثُّنائيَّة، ذكر سوسير مُصطلح، المرجع (le référent) في ثنايَا مُحاضراتِه ولَم يُرَكِّز عَليه كَثيرًا، ويُراد بِهِ الأَثر أَو الصورَة الَّتي يتركُها المدلول في الذِّهن؛ وأمَّا العِلاقة الموجودَة بين الدال والمدلول فهي اعتباطيَّة (arbitraire)، إذ لَيس هناكَ ما يَجمعُهما إلاَّ أن يَكونا عُرفيَّين اصطِلاحِيين فَقط (conventionnelle)؛ وعبَّر عَنها بالشَّكل التَّالي:

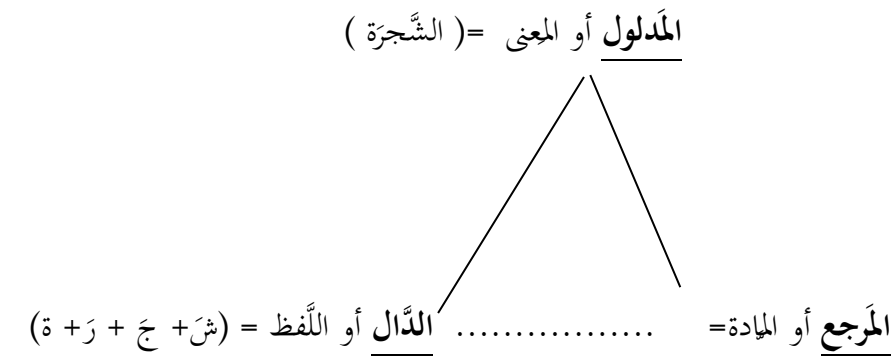

أمَّا الاعتراضات الَّتي قد تأتي من المتشبثين بِالمحاكاة الصوتيَّة (l'onomatopée)، وما شابَه ذلِك لِلحدِّ من اعتباطيَّة الدليل اللِّسانيّ، فهي ضعيفة وغَير قادرَة عَلى أن تُثبت أمام الردَّين الآتيَين:

أ– فالكَلمات المنسوبَة إلى التَّعبير الصَّوتي، نَحو: التَكتكَة (عَقرب الساعَة)، البَقبقَة (صَوت الماء)، وخَرير المياه...، هِي قليلَة وشاذَّة. ب– والأمرُ نفسهُ بالنسبةِ لِعبارات التَّعجب والنِداء والتأفُّف والتَّدمرِ وغيرِها، الَّتي رأى فِيها تعبيرًا عفويًّا عَن الواقعِ أو المقلِّد لأصواتِ الطبيعَة ذاتِها، فَهي عباراتٌ لا تَفي بالحاجةِ اللِّسانيَّة الَّتي هي أعظَمُ وأكثر. ومَهما يَكن الأمرُ، فانَّ لهذا الصِّنف منَ الكَلمات قيمةٌ ثانويَّة، والدَّليل على ذَلك هو أنَّ عِبارات النِّداء والتَّعجب تَبقى دائمًا خارجَ النِّظام اللِّسانيّ، ممَّا يجعلُ تَمثيلَها عَن طريقِ الكتابَة عسيرًا جدًّا، كما أنَّ أصلَها الإيحائيّ غَير مُقنع تمامًا لِما أصابَها مِن تغييرٍ صَوتيّ– صَرفيّ، أفقدَها بَعض خصائِصها الطبيعيَّة وقُربَها عمومًا مِن الدَّليل اللِّسانيّ القائِم على أساسٍ اعتباطِيٍّ وغَير مُعلَّل.

4– خطيَّة الدَّال: (la linéarité)

إنَّ طبيعَة الدَّال الصوتيَّة الماديَّة الفزيائيَّة، هي الَّتي تمنحُ الكلامَ البشرِيّ طابَعه الخَطيّ فالتَّعابير الصوتيَّة، بخلافِ التَّعابير التَّصويريَّة الأُخرى كالرَّسم والنَّحت وغيرِهما، تَحدث ضرورةً في الزَّمان وتُدركُ ضرورةً بواسطةِ السَّماعِ كسلسلةٍ ذاتِ مساحةٍ مُقاسةٍ وعلى شكلِ خطٍّ مُتَّصل غيرِ قابلٍ للانعِكاس، ممَّا يمنعُ عَنها– لارتباطِها بِالزَّمان – كلَّ ما يشبهُ الآنيَّة (أي لا يمكنُ التلفُّظ بِصوتينِ فيفي آنٍ واحد) والتِّكرار (أي يَستحيل تكرارُ نفسِ الأصواتِ عندَ النُّطق بها)، وكذا نفس الترتيب نَحو الكَلمات: سَلمَ، مَلسَ، لَمسَ، فَهي كلُّها مركَّبة مِن الحروفِ نَفسِها ولكنَّها تختلفُ فِي معانِيها لاختِلاف تَرتيبِها وتأليفِها وحُدوثِها في الزَّمن.

5– العِلاقات التَّركيبيَّة والعِلاقات الاستِبداليَّة:

تُمثِّل العلاقات التركيبية (relations syntagmatiques)، الوَحدات الواقِعة على المِحور الأفقِي في السلسلَة الكَلامية، ويتعلقُ الأمرُ بتتابعِ الأصواتِ داخلَ الكلمَة، وتعاقُب الكلِمات داخلَ الجُملة الواحِدة وتَكون هذِه الوَحدات فِي تقابلٍ مع بقيَّة الوَحدات اللِّسانيَّة الأُخرى، فمثلاً: صارَ الجوُّ مُشمسًا = صارَ+ الجوُّ + مُشمسًا. وكذا بالنسبةِ للصَّوامت والصَّوائِت المتعاقبة في الكلمة، بما يجعل هذِه العلاقات ذات صِفةٍ خطيَّةٍ ويمنعُ إمكانيَّة لَفظُ عُنصرَين في آنٍ واحِد.

أمَّا العِلاقات الاستبداليَّة (relations paradigmatiques)، فَتشيرُ إلى العِلاقات الواقعَة عَلى المِحور العمودِيّ وإلى جميعِ الوَحدات اللِّسانيَّة الموجودَة في أذهانِنا والممكِن استبدالُها، فالمِثال السَّابق، يمكن استِبدال

كلمة: صار مكان أصبح أو كان أو أضحى، ويمكن استبدال الجو مكان الطقس أو المناخ. ويُمكن تصوُّر ذلك في الشَّكل التَّالي:

المثال:01

المِحور الاستِبداليّ

↓

المِحور التَّركيبي ←

صار	الجوُّ	مشمسًا
أصبحَ	الطَّقسُ	صحوًا
أَضحى	المناخُ	ماطرًا

المثال:02

أَلقى	الإمامُ	الخُطبةَ
طَرح	–	المسألة
لقَّن	–	الدَّرس
قرأَ	–	الرسالة

مُلحَق المدخل:

-مُخطَّط لفُروع اللِّسانيَّات-

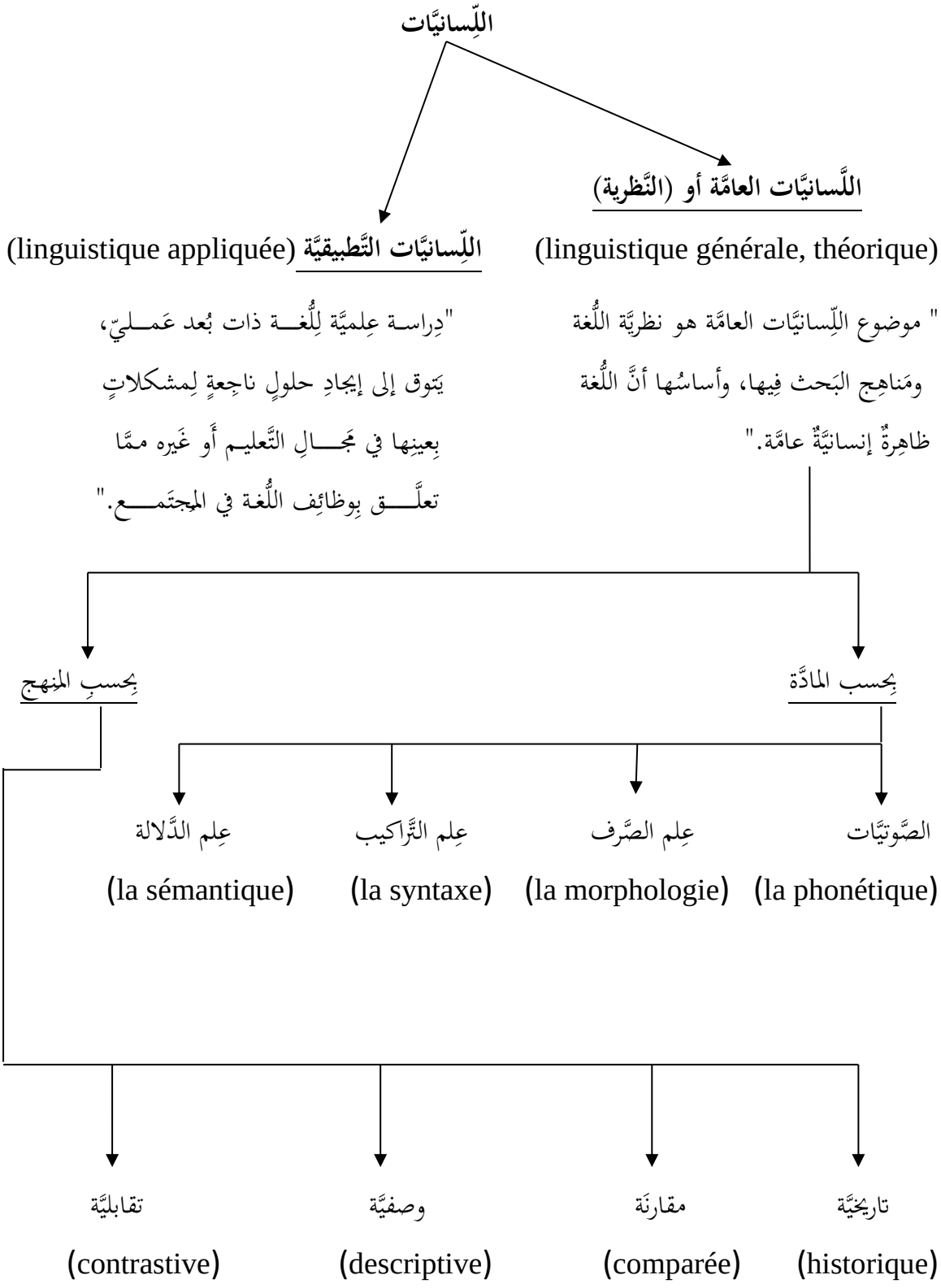

تعليميَّات اللُّغات
la didactique des langues
اللِّسانيَّات الاجتماعيَّة
la sociolinguistique
اللِّسانيَّات التَّطبيقيَّة
اللِّسانيَّات النَّفسيَّة
la psycholinguistique
اللِّسانيَّات الجغرافيَّة
la géolinguistique
اللَّهجيَّات
la dialectologie
المعجميَّات
la lexicologie
المصطَلحيَّات
la terminologie
التُّرجميَّات (la traductologie)
اللِّسانيَّات الحاسوبيَّة (la ling. informatique)

الفصل الثَّاني: المناهِج اللِّسانيَّة

تتيح اللسانيات للدارسين إمكانات منهجية متعدّدة لتناول الظواهر اللغوية وتصنيفها واستخلاص سماتها. فقد استقرّ الأمر مؤخرا على أنّ المناهج اللسانية التي يمكن سلوكها هي بحسب تاريخ ظهورها:

1-المنهج المقارن:

اتّضح مجال هذا المنهج مع بداية ظهور اللغة السنسكريتية (le sanscrit)، التي كانت حافزا رئيسيا للدراسات المقارنة على امتداد تاريخ اللسانيات، بداية القرن التاسع عشر. ويختصّ المنهج المقارن (comparative method/la méthode comparée) بدراسة العلاقات التاريخية بين لغتين أو أكثر، أو لهجتين أو أكثر أو لهجة ولغة، ضمن أسرة لغوية واحدة. ومن المعروف أنّ اللغويين في القرن التاسع عشر توصلوا إلى تقسيم اللغات إلى مجموعات أو أسر معيّنة، يضم كل منها فروعاً متعددة. وأهم هذه المجموعات الكبرى، هي مجموعة الهندية الأوروبية والمجموعة السامية الحامية. وقد شملت الفصيلة الأولى.

ومعنى ذلك أنّ هذه المجموعات والكتل أو الفصائل اللغوية، تحمل مجموعة من السمات والملامح المتشابهة فيما بينها. وعليه يرمي هذا المنهج إلى تصنيف هذه اللغات في أسر او أفرع لغوية بناءً على التشابهات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. ويهدف المنهج المقارن إلى دراسة بنية الكلمات في لغتين أو أكثر داخل الأسرة اللغوية الواحدة وبهذا فإنه يؤدي دورا مهما في تأصيل المواد اللغوية في المعاجم.

كذلك تضم المجموعة السامية وقد أدى تطور الدرس المقارن في المجموعتين السابقتين وفروعهما الكثيرة إلى نشوء ما عرف باللسانيات المقارنة الذي يمتاز بقواعد معيّنة وطرق خاصة. كما أدى التخصص في مقارنة فرع من فروع إحدى هاتين المجموعتين إلى نشوء علم خاص به كاللسانيات الجرمانية المقارنة واللسانيات الرومانية المقارنة واللسانيات السلافية المقارنة. وهكذا يتبين أن دراسة العلاقات البينية في إطار الأسرة الواحدة وفي مستويات الصوتية والتركيبية والدلالية المعجمية، هي ما شكلت هذا المجال من الدراسة.

2-المنهج التاريخي:

إذا كان المنهج المقارن يدرس أكثر مِن لغة في آن واحد فإن المنهج التاريخي (historical method/la méthode historique) يدرس لغة واحدة عبر فترات زمنية مختلفة على مستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية المعجمية. يهتم هذا المنهج ببحث التغيرات التي تلحق اللغة ويتتبع هذا التغير ولكي يُحقق المنهج التاريخي هذا الهدف فلا بدّ أن تتوفر لديه الدراسات الوصفية للغة التي تغطي المراحل التاريخية الخاصّة للبحث، وتتوقف دقة الدراسة التاريخية على دقة الدراسة الوصفية لها. فالمنهج التاريخي يمثل محورا رأسيا طوليا لدراسة اللغة على

مراحل مختلفة، وأما المنهج الوصفي فيمثل محورا أفقيا عرضيا للدراسة اللغة في مرحلة معينة. وبذلك نرى أن المنهج التاريخي يتناول بهذا المفهوم تاريخ اللغة وحياتها فيقف على مدى انتشارها أو انحسارها أو انقسامها إلى لهجات متعددة، وارتقاء لهجة أو أخرى إلى مستوى اللغة المشتركة أو الفصحى وما تشهدها هذه اللهجات من تغيرات تُبعدها أو تُقربها مِن أصلها الذي انقسمت أو اشتقت منه.

3-المنهج الوصفي:

إذا كان المنهج المقارن يتناول بالدراسة أكثر من لغة، والمنهج التاريخي يتناول بالبحث اللغة عبر مراحل زمنية متعاقبة، فإن المنهج الوصفي (descriptive method/ la méthode déscriptive) يتناول بالدراسة لغة واحدة، أو لهجة واحدة في زمان ومكان معينين. ولقد ظل اللسانيّون في القرن التاسع عشر يستخدمون المنهج المقارن والتاريخي في بحث اللغة حتى جاء أب اللسانيات فيرديناد دو سوسير (Ferdinand De Saussure) وفصل بين الدراستين الوصفية والتاريخية، واهتم اللسانيون بعده بالمنهج الوصفي ورفض بعضهم التفسير التاريخي للظواهر اللغوية لأن الزمان ليس هو العامل الأساسي في دراسة الأشياء بل إنّ الزمان هو إطارٌ لها، والتغيّر الذي يطرأ على هذا العنصر أو ذاك من عناصر اللغة يكمن في طبيعة العناصر المكونة لها في لحظة معلومة من جهة وفي العلاقات البنوية القائمة بين تلك العناصر من جهة أخرى.

4-المنهج التّقابلي:

إذا كانت المنهج المقارن يعكف على بحثِ لغتين أو أكثر تنتمي إلى أسرةٍ لغوية واحدة أو فرع لغوي، أي إنّ القرابة أو وجود صلات التشابه، هي الأساس في الدراسة المقارنة، فإنّ المنهج التّقابلي (contrastive method/la méthode contrastive)، لا يدرس اللغات المتدرجة في إطار أسرةٍ واحدة، وإنّما يُقابل بين أي لغتين أو لهجتين أو مستويين لغويين، يختلفان في الأرومة أو الأصل، نحو أن نقابل بين أصوات اللغة العربية والأخرى في الإنجليزية. وقد اتّجه هذا المنهج اتّجاها تطبيقيا تمثّل في تعليم اللّغات.

الفصل الثالث: مُستويات التَّحليل اللِّسانيّ

1-المُستوى الصَّوتيّ (le niveau phonétique)

وهو أوَّل مُستوى تُدرس فيه اللُّغة، على اعتِبار أنَّ الصَّوت، أصغرُ عنصرٍ في بُنية اللُّغة، ويَنقسمُ البحثُ فيه إلى ما يَجري الاصطلاح عليهِ بالصَّوتيَّات (la phonétique)، وهو عِلمٌ يَدرس الأصوات بسيطةً مجرَّدةً ومنعزلةً عن السِّياق الصوتيّ الَّذي ترِدُ فيه، فَتركِّز على ثلاثِ مَراحل، انطلاقًا مِن صُدورِها و تَكوُّنها في الجِهاز النُّطقيّ، عَبر مَواضع مختلفَة (مَواضع النُّطق)، ثمَّ انتقالِها في الهواء على شكلِ مَوجاتٍ وذبذباتٍ صوتيَّة، فَتلقِّيها وإدراكها مِن قبل

السامِع أو المتلقيّ في جِهاز السَّمع، فهو" يُعنى بالأصوات الانسانيَّة شرحًا وتحليلا، ويُجري عليها التجارب دون نظر خاصّ الى ما تنتمي اليه مِن لغات، ولا الى أثر تلك الأصوات في اللغة مِن الناحية العملية. فهو لهذا عالمي أمَّا القسمُ الثَّانيّ، فَيدرسُ الصَّوت اللُّغويّ باعتبارهِ وحدةً في نِظامٍ صوتيٍّ، فَتهتمُّ الدِّراسة بِبَيانِ الأشكال المختلفَة الَّتي يتَّخذها الصَّوت اللُّغويّ، وكذلك بيان وظائِفه وقيَمِه، ويطلقُ على القِسم من الدِّراسة مصطلح: الفـُونولوجيا (la phonologie)، أو العلم " الَّذي يدرس الصَّوت الانسانيّ في تركيب الكلام، ودوره في الدِّراسات الصَّرفية والنَّحويَّة والدَّلاليَّة في لغةٍ معيَّنة، كدراسة أصوات اللُّغة العربيَّة "[39]،وإذا كان اهتِمامنا في تحليلِ الوحدات الصَّوتيّة، يرتكزُ على وظائِفها داخِل السِّياق (الفونولوجيا)، فإنَّه لا مَندوحة لنا عن الصَّوتيَّات لِوصفِ هذهِ الوحدات، فالصَّوتيَّات مَرحلةٌ تَمهيديَّة، ومُكملٌ أساسيّ لِلفونولوجيا.

1-1-الوِحدة الصَّوتيَّة /الفونِيم /الصُّوَيْتة (le phonème):

ونَعمدُ-أثناء وَصفِ أصواتِ اللُّغة- إلى تَحليل السَّلاسِل الصَّوتيَّة في بُنية اللُّغة وتَقسيمَها إلى وَحدات صُغرى، وأصغر عنصرٍ صوتيٍّ يَدخل في التَّحليل الفُونولوجيّ هو:*الفُونيم* أو *الوِحدة الصَّوتيَّة*، ويَلتقي الباحثون على اختلاف مَشارِبِهم ومدارسِهم في كَونِ، الفونيم:" أصغر وِحدة صوتيَّة فِي تقابلٍ في اللُّغة تَتميَّز عن غيرِها بمجموعةٍ مِن السِّمات الصَّوتيَّة قادرة على تَمييز كَلمتَين"[40]، نَحو المدوَّنة التَّالية: حَرير/hari:r/، خَرير/xari:r/، سَرير/sari:r/؛ فالاختِلاف في الوحداتِ الأولى أو الفونيمات (ح، خ، س)، أدَّى إلى اختلاف دِلالاتِها؛ وفي تَحليلنا للسِّمات المميِّزة نذكرُ التَّاليّ:

***الوحدة الصَّوتيَّة**:/ح/ أو/h/:

1- الحاء: حَلقيَّة، بينما الخاء طَبقيَّة وأمَّا السين أسنانيَّة-لَثويَّة (مِن حيث المخرَج).

2- الحاء: مَهموسَة، رِخوة، بينما الخاء، مهموسة، رِخوة، مُفخمة، وأمَّا السين، فمَهموسة، رِخوة، صفيريَّة (مِن حيث الصِّفة). ولا يَقتصر أمرُ الوحدات الصَّوتية أو الفونيمات على الصَّوامِت، بل قَد يَكون الفُونيم، صائِتا قصيرًا أو طَويلا، نَحو الأمثلةِ التَّاليَّة:

***الوحدة الصَّوتيَّة**: الكَسرة (ـِ) أو/i/ :

جِمال : جَمال أو بِرّ : بَرّ

1- الكسرَة: صائِتٌ قصير أماميّ ضيِّق، بينما الفتحة صائِتٌ قصير وَسطيّ مُتَّسع (مِن حيث المخرَج).

2- أمَّا مِن حيث الصِّفة فجميع الصوائِت قَصيرها وطويلها مَجهورٌ.

وقَد لا تُؤدِّي الوحدات مِن حيث سِماتُها الصَّوتيَّة المختلفة إلى إحداثِ اختلافٍ في دَلالَة الكَلمتين، ومن ثمَّة تُسمَّى، صورةً صوتيَّة أو بَديلاً صوتيًّا أو أَلوفوناً (Allophone)، وهو " تَغييرُ تلفُّظِ حَرفٍ مِن الحُروفِ بِحسبِ وقوعِه في الكلمات "[41]، أو هو:" مَجموعَة التَّنوعات التَّركيبيَّة "[42]أو هو" صورةٌ مِن الصور الصَّوتيَّة المختلفة لِوحدةٍ صوتيَّة مُعيَّنة «الفونيم» . ومثال ذلك الوحدة الصَّوتيَّة أو (فونيم الباء) في العربيَّة /b/ الَّذي يُستعمل في كلماتٍ كثيرةٍ مِثل: لَبيب /labi:b/ وصَباح /saba:h/، حيث الباء في الكلمة الثَّانية مُفخَّم بتأثير الصاد، والأصل في الباء التَّرقيق، وهذه صورةٌ صوتيَّة مُختلفَة، ولك أن تقول هذا بالنِّسبة للام والراء، أو في حالةِ الإبدال في الحُروف، نحو قَلب القاف همزةً أو جِيمًا قاهريَّة...

2- المُستوى الصَّرفيّ (le niveau morphologique)

ويختصُّ بِدراسةِ الصِّيغ اللُّغويَّة وبناءِ الكلمَة[43]وطُرق تَشكيلها، مِن اشتقاقٍ وإلصاقٍ، وما يَطرأُ عليها مِن تَغييرات. ويدرس وظائف هذه الصيغ ويُصنِّفها إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة، أو التَّذكير والتَّأنيث، أو الإفراد والتَّثنية والجَمع، ويَدرس أيضًا التَّغيرات الصَّرفيَّة الناشِئة عَن تجاورِ الأصوات،وما يَتَّصل بِالصيغ باعتبارِها كَلمات.

2-1-الوحدة الصَّرفيَّة/المورفيم/الصُّرَيْفَة: (morpheme)

وتُشكِّل الوِحدة الصَّرفيَّة أو المورفيم (morphème)[44]، العُنصر الأَساس في التَّحليل الصَّرفيّ، كما هو حال الوِحدة الصوتيَّة أو الفونيم في كَونِها الأَساس في التَّحليل الفونولوجي لِلأصوات؛ وبالرَّغم من كثرةِ التَّعريفات لِلمورفيم لَدى المدارس اللِّسانيَّة، إلاَّ أنَّها تَتَّفق على أنَّه:" أصغر وِحدة لغويَّة في بنية الكلمَة لها سِماتٌ صوتيَّة ودَلاليَّة أو وظيفَة نحويَّة "أو هو" أصغر وحدة لُغويَّة مُجردة ذات معنى، وهي جزءٌ مِن كلمَة أو مِن تركيب تُبيَّن الوظيفَة النَّحويَّة في الجُملة "[45]، أو هو باختصارٍ شديد، أصغر وِحدة صرفيَّة دالَّة، وهو على ذلك لا يُمكن تقسيمُه إلى وحداتٍ أصغر. ولَيست المورفيمات بِالضرورَة كلمات، فـ: "مُهندِسون"، تُمثِّل كلمةً واحدةً، لكنَّها مكونةٌ مِن مُورفيمَين: مهندس + اللاحِقة "ون" لدِلالة جمع المذكر السالم. وتأتي المورفيمات على نَمطين، فالموفيمات النَّحويَّة (morphèmes grammaticaux)، والقصدُ منها، تلك الوحدات الصَّرفيَّة ذات الانتماء القواعِيديّ، تمثِّل قائِمةً مغلَقة، ويتمُّ تحليله على المِحور التَّركيبيّ، مثل: عَلِمَتْ- مُحاضرات- يَقرأ، فتاء التأنيث الساكنة، والألف والتاء لِجمع المؤنث السالم وياء المضارعة، تمثِّل هَهنا وحدات صرفيَّة أو مورفيمات نَحويَّة؛ بينما تُعدُّ كلمات: عَلِم وحَضَر وقَرأ، مُرفيماتٍ مُعجميَّة (morphèmes lexicaux)، تُوجَد مُستقلَّةً بِذاتِها، وتنتمي إلى قائِمةٍ مَفتوحَة.

1-3-المُستوى التَّركيبيّ: (le niv. syntaxique)

وهو يعالجُ عمليَّة انتظامِ الكلماتِ في الجُمل، فَيهتمُّ بدراسةِ نَظمِ الجُملة، وتحليلِها، وبيانِ العِلاقات النَّحويَّة الَّتي تربطُ بين عناصرِها المختلفَة، كَما يدرسُ أنواعَ الجملِ مِن إثباتٍ ونفيٍ أو استفهامٍ وغيرها؛ يُجمعَ أكثرُ اللُّغويين بينَها وأطلقُوا عَليها قَواعدَ اللُّغة (la grammaire)، ذلك لِشدَّة ارتباطِ التَّركيب بِالصَّرف، ونَحن إذ نتعرَّض لِهذا المستوى، نقفُ أمامَ نظريَّتين تمَّ استثمارُهما في هذا مَجال– بعدما أُشبِعت الدِّراسات في مَجالي أصواتِ اللُّغة وصرفِها– وهما: النَّظريَّة التَّوزيعيَّة، والنَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة.

1-4-المُستوى الدَّلاليّ (le niv.sémantique)

يبحثُ هذا المستوى مَعاني المفردات والعبارات، والعِلاقات الدَّلالية المختلفة مثل: التَّرادف وتعدد المعنى، والاشتراك اللَّفظي، والتَّضاد، ودراسة التَّغيُّر الدَّلالي وأسبابه، وحياة الكلِمات وتطورها التَّاريخيّ وما يلحقها مِن رُقيّ أو انحِطاط. والمستويات الثلاثة الأولى هي – في حقيقة أَمرِها– تَخدُم المستوى الدَّلاليّ فكلّ دراسةٍ لِسانيَّة تهدُفُ بيانَ المعنى والكشفِ عَنه في عَمليَّة التَّواصُل. ومِن جُملة النَّظريات الَّتي بَحثت المعنى، نَذكر أهمَّها في التَّالي:

1-نظريَّة المجال الدَّلاليّ:(Semantic field theory)

2-نظريَّة السِّياق:(Context theory)

3-نظريَّة التَّحليل التَّكونيّ: (Componential analysis theory)

سنقِف –لِضيقِ المجال ههنا–على نظريَّة التَّحليل التَّكونيّ، الَّتي تصبُّ فيها النَّظريات الأُخرى، وهي في الآنِ ذاتِه مُكمّلٌ وامتِدادٌ لَها ويرتكِز دور هذِه النَّظريَّة على تَحديد الملامِح الدلاليَّة Semantic Features ؛ الَّتي تَنهض على ما اصطلَح عليه دارِسو علم الدَّلالة، الوِحدة الدَّلاليَّة l'unité sémantique أَو السِّيمَة (Séme) كَمقابل، وعرَّفوه بِقولهم: انَّه أَصغر وحدة لغويَّة في دائرةِ المعنى. وقال آخرون إنَّها مجموعةٌ مِن العناصر الصوتيَّة ذات الملامِح التَّمييزيَّة، ويَذكُر ج. مونان في مُعجمِه قَوله:" السيمَة هي الوِحدة الدَّلاليَّة الصُّغرى الحاصِلة عَن تَحليل المدلولات les signifiés ". وتقومُ هذه النظريَّة على مبدأ التَّقابل، أي أنَّ التحليل سَيفرضُ علينا أن نحدِّد العلاقات الدِّلاليَّة الَّتي تربِطها بالكلمات الأُخرى داخلَ المجموعة الدَّلاليَّة نَفسِها، فَالكلمة لا تتَّخذ قيمتها الدَّلاليَّة في ذاتِها، ولكنَّها تتحدَّد بالنسبةِ لِموقعها في داخِل المجال الدِّلاليّ، ومثال ذلك كلمة: " عَميد" موجودة في ألقاب الوظائِف الجامعيَّة، نَحو: عميد كليَّة الآداب واللُّغات"، والمجال الدِّبلوماسيّ: عميد السِّلك الدِّبلوماسيّ"، مَجال الشُّرطة...؛ وقَد أشار برنار بوتييه (Bernard Pottier) إلى التَّحليل التَّكونيّ بِمثال: "الكُرسي" الَّذي

يضمُّ أَربَع سِيمات هي: لِلجلوس- ذو أَربعَة أَرجُل- للأشخاص- ذو مِسند. وإذا ما تَغيَّرت إحدى سيمات لَفظ كُرسي، (les sèmes) تغيَّر مَعناه.

*ومِن أمثلةِ ذلك أيضًا، المدوَّنة التاليَّة في هذا الجَدول:

السِّيمة / **الوِحدة المُعجميَّة**	انسان	ذَكر	أنثى	بالِغ	صَغير
رَجُل	+	+	−	+	−
امرَأة	+	−	+	+	−
طِفل	+	+	−	−	+

الاحالات:

1-ينظر: مونان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة نجيب عزاوي، مؤسسة الوحدة، دمشق، د.ت، ص 65.

2-ينظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط06، 1988م، القاهرة، ص 59.

3-نفسه، ص 58.

4-ينظر: روبنز، ر.هـ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العدد 227، 1997م، الكويت، ص 31.

5-ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد الهنداوي، ج01، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م/1424هـ، ص 30.

6-نفسه، الصفحة نفسها.

7-ينظر: خليل، حلمي، العربيَّة وعلم اللُّغة البنيويّ دراسات في الفكر اللُّغويّ العربيّ الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995م، ص 09.

8-ينظر: السعران، محمود، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربيّ، ط02، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1999م، ص 268.

9-أشار سوسير-في المحاضرات- إلى مَفهوم البُنية بمصطلح "النِّظام"(le système)، وشبَّه جُملة العِلاقات الموجودة بين العناصر اللُّغويَّة بِلعبة الشطرنج. وكَلمة البنية مِن أصلٍ لاتيني، معناها البِناء، وقد ذهب جورج مونان إلى القول بِأنَّ:" كلمة بنية ليست لها أية رواسب أو أعماقٍ ميتافيزيقية فهي تدل أساسا على البناء بِمعناه العادي. ويُعزِّز قوله بِمثال الطاولة، إذ يذكر بأنَّ دراسة بنية الطاولة هي البحث عن الوحدات الحقيقية المتعلقة ببناء الطاولة (من هيكل و قوائم) أو بتفكيكها قطعةً قطعة حتى يمكن تركيبها من جديد مثلما يحدث مع اللغة حين تُحلَّل إلى عناصر صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية. وقد استعملت علومٌ أخرى سوى اللسانيات، هذا المصطلح -أقصد البنية- كالكيمياء (بنية الذرة)، وعلم الاجتماع (بنية المجتمع)، وعلم الاقتصاد (البنية التحتية والبنية الفوقية)، وعلوم الأرض، والرياضيات والفلسفة...

10-voir: MOUNIN Georges, dictionnaire de la linguistique, Quadrige/P.U.F, 2000, p 307.

11-voir: HJELMSLEV Louis, Essais linguistiques, les Editions de Minuit, Paris, 1971, p 29.

12-voir : DUCROT, Oswald, le structuralisme en linguistique, Editions du Seuil, 1968.

13- يُنظر: حلمي، خليل، العربيَّة وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 07. وقد اتُّخذ نظريَّةً سعى كثيرٌ من الباحثين تَطبيقها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فليفي ستروس أدخلها في الأنثروبولوجيا وأخرج مؤلفا أسماه: الأنثروبولوجيا البنيوية، وطبَّقه أيضا كلٌّ من ذانك موردو كوسبيرمان في علم الاجتماع وعلم النَّفس.

14- voir : SAUSSURE Ferdinand de, cours de linguistique générale, édition TALANTIKIT, Bejaïa, 2002, p 280.

15-وقَد أشار سوسير لمثل هذه الثنائية بلعبة الشطرنج، فمعرفة تاريخ اللعبة وأصولها وتطوراتها وكيفيات انتقالها عبر الزمن والشعوب لا يفيد أيًّا من المتباريين في ممارسة قواعد اللعبة والتمكن منها؛ كما أنه لو استبدلت القِطع الخشبيَّة بقطعٍ مِن العاج، فانَّ هذا التغيير لا يمس النِّظام ولكن إن أنقصتَ أو زدتَ عددَ القطعِ فهذا التغيير سيُخلُّ بالقواعدِ الَّتي وضعت عليها اللُّعبة.

16- MOUNIN, op.cit., p 196.

17- SAUSSURE, op.cit., p 27.

18- SAUSSURE, ibid., p 27.

19- voir : PAVEAU Marie-Anne, SARFATI Georges-Elia, les grandes théories de la linguistique, ARMAND Colin, 2003, 75.

20- voir : SIOUFFI. G, VAN RAEMDONCK. D, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, 1999, p 192.

21-voir : DUCHET Jean-Louis, la phonologie «que sais-je ?», P.UF, 1981, p 21.

22- ibid., p 21.

23-ينظر: زكريا، ميشال، الألسنيَّة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ط02، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1983م، ص237 و238.

24-ينظر: افيتش، ميلكا، اتجاهات البحث اللِّساني، تر عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل، المجلس الأعلى للثَّقافة، الكويت، 2000م، ص 255.

25-حنَّا، سامي عيَّاد وآخرون، معجم اللِّسانيَّات الحديثة انكليزي-عربيّ، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م، ص 101.

26-ينظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي-انكليزي-عربي، ط01، دار الفكر اللبناني، 1995م، ص 20.